Vol. 5, N°19, pp. 842– 859, Septembre 2026
Copy©right 2024 / licensed under CC BY 4.0
Author(s) retain the copyright of this article
ISSN : 1987-1465
DOI : https://www.doi.org/10.62197/MGJA1449
Indexation : Copernicus, CrossRef, Mir@bel, Sudoc, ASCI, Zenodo
Email : RevueKurukanFuga2021@gmail.com
Site : https://revue-kurukanfuga.net

La Revue Africaine des Lettres, des Sciences Humaines et Sociales
KURUKAN FUGA

L'IMPACT DE COMMERCE SAHARIEN SUR LA VIE CULTURELLE ET SOCIALE DE TOMBOUCTOU ET GHADAMES

****

(ED-DESSLA-Mali)Boubacar COULIBALY-

البريد الالكتروني: coulbouba2020@gmail.com

والدكتور/ محمد جاكيتي Dr.Mohamed DIAGAYETE

معهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية-تمبكتو (IHERI-ABT)

****

ملخص البحث

تعد تمبكتو، وغدامس من مدن التراث والحضارة والثقافة الإسلامية في أفريقيا -تمبكتو خاصة-حيث قال عنها المؤرخ عبد الرحمن السعدي في تاريخ السودان، تمبكتو: "هذه البلدة الطيبة الطاهرة الزكية الفاخرة ذات بركة ونجعة وحركة التي هي مسقط رأسي، وبغية نفسي، ما دنستها عبادة الأوثان، ولا سجد على أديمها قط لغير الرحمن، مأوى العلماء والعابدين، ومألف الأولياء والزاهدين، وملتقى الفلك والسيار، فجعلوها خزانة لمتاعهم وزوعهم، إلى أن صار مسلكا للسالكين في ذهابهم ورجوعهم"، هذه المقولة التي تعبر عن مكانة تمبكتو الدينية والثقافية من حيث وجود العلماء الربانيين، ومركزا تجارياً يلتقي بها طرق القوافل التجارية.

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على دور القوافل التجارية في ازدهار الثقافة الإسلامية، وتطوير الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وأنواع السلع التي كانت تعج الأسواق من الشمال والجنوب (تمبكتو-غدامس). وتكمن أهميتها في كونها وجهة للعلماء ومسلك السالكين، وخزانة التجار الوافدين من كل الجهات؛ ولإجراء هذه الدراسة يتم الاعتماد على المخطوطات والوثائق المكتوبة والخرائط ثم وصفها وتحليلها على ضوء الأهداف المرسومة.

ومن البيانات التي تم جمعها تثبت وجود الاحتكاك والتبادل التجاري والتصاهر بين السكان والعلماء والتجار القادمين من شمال الصحراء وجنوبها، وقيام حضارة وثقافة إسلامية مبنية على الإخاء والتسامح الاجتماعي السليم.

Boubacar et Mohamed

الكلمات المفتاحية:-التجارة الصحراوية – الحياة الثقافية والاجتماعية – تمبكتو – غدامس-

****

Résumé : Tombouctou et Ghadamès sont des villes des patrimoines, de civilisation et de culture islamiques en Afrique – Tombouctou en particulier – comme l'a dit l'historien Abdourahmane āl-Saadi dans le Tarik Soudani, Tombouctou : « Elle est un havre pour les savants et les fidèles, un refuge pour les saints et les ascètes, et un lieu de rencontre pour les astres et les voyageurs. Ils en firent un entrepôt pour leurs biens et leurs provisions, jusqu'à ce qu'elle devienne une étape pour les voyageurs se rendant ou en revenant ». Sur la base de cette déclaration, qui exprime le statut religieux et culturel de Tombouctou en termes de présence de savants érudits et de son rôle de centre commercial où les routes caravanières. Cette étude vise à mettre en lumière le rôle des caravanes commerciales dans l'épanouissement de la culture islamique, le développement de la vie économique et sociale, et les types de marchandises qui approvisionnaient les marchés du nord et du sud (Tombouctou-Ghadamès). Son importance réside dans son rôle de destination pour les érudits, de passage pour les voyageurs et d'entrepôt pour les marchands venus de toutes parts. Pour mener à bien cette étude, nous nous appuyons sur des manuscrits, des documents écrits et des cartes, que nous décrivons et analysons ensuite en fonction des objectifs fixés. Les données recueillies prouvent l'existence de contacts, d'échanges commerciaux et de mariages entre la population, les érudits et les commerçants venus du nord et du sud du Sahara, ainsi que l'établissement d'une civilisation et d'une culture islamiques fondées sur la fraternité et une saine tolérance sociale.

Mots clés : commerce saharien - vie culturelle et sociale – Tombouctou – Ghadaès.

****

مقدمة:

تعد تمبكتو وغدامس من المدن التراثية لثقافة الإسلامية و مركزين من مراكز التجارة الصحراوية في أفريقيا، لموقعهما الجغرافية على حافتي الصحراء الجنوبي والشمالي، ومعاملة سكانهما للضيوف.

لذا كان للقوافل التجارية دور في ازدهار الثقافة الإسلامية، وتطوير الحياة الاجتماعية، **وأثر التجارة الصحراوية على الحياة الثقافية والاجتماعية في تمبكتو وغدامس** تكمن أهميتها في كون تمبكتو وجهة للعلماء ومسلك السالكين، وخزانة التجار الوافدين من كل الجهات. ولإجراء الدراسة تمّ الاعتماد على المخطوطات والوثائق.

سبب اختيار الموضوع: التعرف على الأثر الثقافي والاجتماعي للتجارة عبر الصحراء

- **أسئلة البحث:** لدراسة هذا الموضوع يمكن طرح السؤال المحوري التالي: كيف أثرت التجارة الصحراوية على الحياة الثقافية والاجتماعية على تمبكتو وغدامس؟ وانطلاقا من السؤال تتفرع منه الأسئلة الفرعية التالية:
  - أ- ما هي التجارة الصحراوية؟
  - ب- ما المسالك التي كان يسلكها قوافل تجار التجارة الصحراوية؟
  - ج- ما هي السلع المتبادلة في التجارة الصحراوية؟
  - د- ما الأثر الثقافي والاجتماعي للتجارة الصحراوية؟
- **أهمية البحث:** تكمن أهمية هذا البحث في إبراز الدور الذي اضطلعت به التجارة العابرة للصحراء، رغم ما اكتنفها من تحديات ومخاطر، وما حققته من عوائد اقتصادية للتجار، فضلًا عن أثرها في تشكيل النسيج السكاني والثقافي والاجتماعي على ضفتي الصحراء.
- **أهداف البحث:** لهذا البحث أهداف عامة وخاصة، والهدف العام:

  التعرف على الأثر الثقافي والاجتماعي للتجارة الصحراوية بين تمبكتو وغدامس.

  الأهداف الخاصة:
  - تقديم لمحة جغرافية وتاريخية عن تمبكتو وغدامس
  - التعرف على مسالك قوافل التجارة الصحراوية.
  - الوقوف على السلع المتبادلة بين شمال وجنوب الصحراء
  - الوقوف على الأثر الثقافي والاجتماعي على تمبكتو وغدامس.
- **منهج البحث:** اعتمد هذا البحث على المنهج التاريخي؛ لارتباط موضوعه بظاهرة تاريخية. كما اعتمد المنهج الوثائقي في جمع المادة العلمية، والمنهج الوصفي التحليلي في وصف وتحليل الآثار الثقافية والاجتماعية للتجارة الصحراوية. واستُخدم المنهج المقارن لإبراز أوجه التشابه والاختلاف بين مدينتي تمبكتو وغدامس.

عناصر البحث: يتكون هذا البحث من العناصر التالية:

مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة، المبحث الأول: لمحة جغرافية وتاريخية عن تمبكتو وغدامس، والثاني: مسالك قوافل التجارة الصحراوية. والثالث: السلع المتبادلة بين شمال وجنوب الصحراء. الرابع: الأثر الثقافي والاجتماعي على تمبكتو وغدامس، الخاتمة: تحتوي على أهم النتائج التي توصل إليه الباحث والتوصيات.

المبحث الأول: لمحة جغرافية وتاريخية عن تمبكتو وغدامس:

كان لمواقع القرى والمدن عبر العصور قديما وحديثا أهمية بالغة، وهذه الأهمية يمكن أن يكون استراتيجية أو اقتصادية أو تجارية رابحة حيث قاموا بنقل البضائع والسلع التجارية إلى تمبكتو ومدن جنوب الصحراء.

موقع تمبكتو الجغرافية:

تمبكتو مدينة من مدن جمهورية مالي وهي الإقليم الإداري السادس للدولة، وتقع على مقربة من نهر النيجر في الضفة اليسرى، وشمال شرق جمهورية مالي؛ يحدها شمالا كيدال وتَؤودني، وشرقا غاو، وجنوبا دُوانزان وموبتي، وغربا جمهورية موريتانيا حسب الخريطة الإدارية الجديدة.

خريطة 1: خريطة جمهورية مالي، مع التقسيمات الإدارية الجديدة



[1] ATLAS du Mali

ويحدد أبو الأعراف موقع تمبكتو على النحو التالي: "فهي مدينة مبنية بين السودان والصحراء الكبرى، قريبة من خليج النيجر، بينها وبينه في الصيف نحو ستة عشر كيلو مترا، أي ستة عشر ميلا"[1]. هذه إشارة على أنها مدينة على مسافة من النهر، وهذه المسافة تخت حسب المواسم عند الفيضان يكون أقرب منه في الموسم الجفاف.

ويشير موريس ديلافوس (Delafosse) إلى أن تأسيس تمبكتو كانت في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي 1100م[2]

هذه رواية ورواية تقول عام 446هـ/ 1054م [3]. يرجع عبد الرحمن السعدي تاريخ تأسيسها إلى أواخر القرن الخامس الهجري على أيدي توارقَ مقشرون- دون تحديد السنة- حيث كانت مرتعا لهم وقت الصيف... وسرعان ما تحولت إليها أنظار المتسوقين من جهات متعددة؛ وتوافد إليها وسكن فيها الأخيار من العلماء الصالحين والمتسوقين من أماكن شتى [4].

---

[1] أحمد بن أبي الأعراف الموسوعلي التكني الجلميمي. إزالة الريب والشك والتفريط في ذكر المؤلفين من أهل التكرور والصحراء والشنقيط. تحقيق: دريسا تراوري وآخرون، *معهد أحمد بابا للدراسات البحوث الإسلامية*، (2019) ص: 56.

[2] Maurice DELAFOSSE. Haut-Sénégal- Niger (Soudan Français). Emile LAROSE, (1912), P : 269.

[3] محمود كعت بن المختار القُنبِيلي. تاريخ الفتاش. *منشورات معهد أحمد باب للدراسات العليا والبحوث الإسلامية*، تحقيق: عبد الرؤوف أحمد ميغا وآخرون (1435هـ/2014م) ص: 38.

[4] عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي. تاريخ السودان. تحقيق: هوداس وبنوه، *المدرسة البارزية لتدريس الألسنة الشرقية -باريس*، (1981) ص: 20-22.

وضبط اسم تنبكتو: بضم التاء المعلوة وسكون النون وضم الباء الموحدة وسكون الكاف وضم التاء المعلوة الثانية وواو، وبينها وبين النّيل أربعة أميال، وأكثر سكانها مسّوفة أهل اللثام، وحاكمها يسمى فربا موسى [5]. وهذه الصيغة من تمبكتو هي المستعلة في الدائر الحكومية، إلا المعتاد بدل حرف النون بالميم [6].

وقد خضعت تمبكتو لسيطرة امبراطورية مالي وسنغوي، ودولة الطوارق والاحتلال المغربية... حتى الاحتلال الفرنسي التي حاولت طمس الثقافة الإسلامية عنها، والتحكم على مسالك التجارة الصحراوية.

الموقع الجغرافي لغدامس:

خريطة 2: خريطة ليبيا، مع تحديد نقطة غدامس



المصدر الخريطة ! www.mawdoo3.com

تقع غدامس في الجنوب الغربي للجمهورية الليبية، ولبعد مدينة طرابلس 620كلم... من أقدم مراكز الحضارة في الصحراء الكبرى، ومساحتها نحو 190 هكتار ويحيط بها سور شبه دائري، يبلغ. في مثلث الحدود ليبيا وتونس [7].

ويقول الحسن الوزان: عن غدامس: "منطقة كبيرة مسكونة، حيث القصور العديدة والقرى المأهولة، على بعد نحو ثلاثمائة ميل من البحر المتوسط. سكانها أغنياء، لهم بساتين نخل وأموال، لأنهم يتجرون مع بلاد السودان. يديرون شؤونهم بأنفسهم ويؤدون خراجا إلى الأعراب. وكانوا من قبل خاضعين لملك تونس أي لخليفته في طرابلس. ويرتفع القمح واللحم في هذا المكان ارتفاعا كبير"[8].

وعرف غدامس بالجلود ووقوعها على طريق بلاد السودان وجبليتها وبعينها. وصفه أبو الفداء في تقويم البلدان: "وبغدامس الجلود وهي طريق بلاد السودان المعروف بالكانم... مدينة جبلية عامرة في وسطها عين أزلية ... وأهلها

---

[5] محمد بن عبد الله ابن بطوطة. رحلة ابن بطوطة. *أكاديمية المملكة المغربية*، الجزء 4، (1417هـ) ص: 269.

[6] كتب أبو الأعراف كلمة تمبكتو: بـ "تنبكت" في إزالة الريب والشك والتفريط في ذكر المؤلفين من التكرور... ص:57. وورد بنفس الصيغة عند السعدي في تاريخ السودان. توصل فريق تحقيق تاريخ الفتاش، منشورات معهد بابا للدراسات العليات والبحوث الإسلامية كالتالي:

- تِنبكت **Timbuctu** بكسر التاء وهي طوارقية مشتقة من "**تن Tin**" بمعنى بئر، و"**بكت Buctu**" اسم المرأة المنسوبة إليها البئر، هذا الرأي يرجع تأسيس تمبكتو إلى عام 446هـ/1054م، على أساس إثباتها من قبل الطوارق، انطلاقا من استيلاء المرابطين على "أودغست".
- تُنْبُكتُ تُنطق لدى سكانها بـ "**تُنْبُكتُ Tumbuctu**" بضم التاء بل هذا هو النطق المشور لد سائر سكان السودان الغربي. فـ"تُن Tun" في لغة (سنغي **Sogay**) بمعنى "**انهض**" أو "**انهضي**" و"**بُكْتُ Buctu**" بمعنى الضخم أو الضخمة.
- أن تمبكتو أسست منذ زمن سحيق-الله أعلم- على ضفة نهر النيجر وكانت نواتها الأولى تسمى "**بَادِ نْدِي Ba-jindé**" أو "بَغَا جِنْدِي Baga-jindé" ومعناها "**ممر فرس النهر**" والطوارق لم يعرف أحد منهم بالسكنى على ضفة النهر إلا في فترة قريبة جدا.

[7] بشير قاسم يوشع. مدينة غدامس عبر العصور. *المركز الوطني للمخطوطات والدراسات التاريخية -طرابلس*، (2011) ص: 15.

[8] نفس المرجع، ص: 17.

قوم من البربر مسلمون ولهم مسجد جماعة وليس لهم رئيس ومرجعهم إلى مشايخهم"[9] هذا ما يشير إلى أن نظام الحكم والمرجعية بيد مشايخ القبائل.

قد أثر موقعهم على حياتهم من كل الجوانب في الذكاء وفهم اللغات... "يعزى نجاحهم بالإضافة إلى براعتهم وذكائهم الذي لا ينكر إلى مواقعهم الجغرافي الذي يجعل من بلادهم موقعا أماميا في المناطق ما قبل الصحراوية، وإلى المعرفة النادرة التي توافرت لهم بعدد كبير من اللغات واللهجات..." [10] هذا ما جعلها تسيطر على التجارة الصحراوية من الشمال إلى الجنوب.

وضبط اسم غدامس: "بفتح أوله ويضم، وهي عجمية بربرية فيما أحسب: وهي مدينة بالمغرب ثم في جنوبيّه ضاربة في بلاد السودان بعد بلاد زافون، تدبغ فيها الجلود الغدامسية " [11]. ومن أسماء غدامس قبل اسمها العربي: رادامس، سيداموس، كيداموس، كوداموس، كيدامي، عديمس [12].

يصعب تحديد تاريخ تأسيس غدامس: ويحتمل إنشاؤها منذ آلاف السنين قبل الميلاد، لوجود نقوش عصور الحجرية المختلفة مما يؤكد قيام حضارة الإنسان بها منذ تلك العصور، احتلها القرطاجيون عام 795ق.م، ثم الرومان 19ق.م [13].

ودخل الإسلام في غدامس منذ فتوح الإسلام الأول لشمال أفريقيا، حيث تم فتحها على يد عقبة بن نافع الفهري الذي استعمله عمرو بن العاص. و "افْتتح سنة اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعين غدامس من تخوم السودَان وَفِي السّنة بعْدهَا افْتتح ودان وكورا من كور السودَان"؛ وهذا يثبت دخول الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء وشمالها [14].

تقع المدينتان على ملتقى طرق القوافل التجارية مما جعلهما تتمتعان بفوائد التجارة الصحراوية، وثقة التجار بهما على أمتعتهم وعلى أنفسهم فترة إقامتهم فيهما، وقِدم غدامس في حركة النقل والتجارة أعطتها ولتجارها صدارة التجارة الصحراوية بين شمالها وجنوبها أو بين شرقها وغربها.

المبحث الثاني: مسالك قوافل التجارة الصحراوية.

---

[9] عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبي الفداء. *تقويم البلدان*. تصحيح: رينود والبارون ماك كوكين ديسلان، دار صادر–بيروت، (1840) ص: 147

[10] بشير قاسم يوشع. مدينة غدامس عبر العصور. *المركز الوطني للمخطوطات والدراسات التاريخية –طرابلس*، (2011) ص: 68.

[11] شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي. *معجم البلدان. دار صادر–بيروت*، (1995م)، ج4، ص: 187.

[12] بشير قاسم يوشع. مدينة غدامس عبر العصور. *مرجع سابق*، ص: 16.

[13] راجع بشير قاسم يوشع. *مدينة غدامس عبر العصور*، ص 15–33؛ حول تاريخ تأسيس غدامس.

[14] شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي. *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*. المحقق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، *دار الكتاب –الدار البيضاء*، (1954) ج1، ص: 78.

تعددت ذكر مسالك القوافل التجارية ما بين شمال الصحراء وجنوبها، من مصر إلى بلاد المغرب مروراً بتونس وليبيا، وبعض المدن المشهورة من بلاد السودان. وكما أن هذه المسالك تنطلق أيضا من سواحل البحر الأحمر والمتوسط وجنوب الصحراء وشواطئ محيط الأطلنطي في غرب القارة.

كان تجار غدامس يسلكون بتجارتهم إلى تمبكتو: طريق طرابلس إلى السودان بدءا من طرابلس مروراً بغدامس، وغات [15] والأيير [16]، وأغاديس [17]، وزندر [18] وكانو [19] ويتميز هذا الطريق بانتشار الآبار فيه، ويتزود القوافل بالماء، وهو طريق كثير المخاطر من جراء السلب والنهب التي تقوم به بعض القبائل الصحراوية وتستغرق الرحلة فيه مدة لا تقل عن ثمانية أشهر. ومن غدامس وغات تتوزع عدة طرق إلى عين صالح وفزان [20] وتمبكتو. كانت القوافل تعقد اتفاقيات مع الطوارق لتأمينها، وتأجر الإبل منهم، وكانت غات محل تجمع وتنحل القوافل [21]. واعتمد الغدامسيين بشكل كبير على وكلائهم التجاريين المقيمين في أسواق المدن السودانية لرعاية مصالحهم خاصة في زندر وكانو وبرنو وتمبكتو وغيرها من الأسواق السودانية؛ قد حقق لهم معاملتهم التجارية أرباحا عظيمة؛ ومكتبة معهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية بمدينة تمبكتو تحتوي على مجموعة قيمة للرسائل المتبادلة بين تجار تمبكتو وتجار غدامس تتعلق بأسعار السلع كالملح والعسل والبخور والعبيد... وأماناتهم وديونهم في تمبكتو وجني وغيرهما من مدن الجنوب.

وتثبت هذه الرسائل المخطوطة مدى حرص تجار غدامس على إحصاء بضائعهم وأنواعها وأسعارها... وقائمة أسماء أصحاب الديون... والموكلون بـ"تودني" على شراء الملح وعدد الجمال للحمل.

ومن أمثلة هذه الرسائل الكثيرة، رسالة من تمبكتو إلى غدامس بشأن الأسعار مفادها: "وإن سألت يا أخي عن أسعار تنبكت، فاعلم أن كله غال، أما الدخن فبمائة وسبعين للمدية* والصاب* كذلك والأرز الأبيض بأربعمائة

---

[15] غات: –مدينة ليبية على مشارف الحدود الليبية الجزائرية.

[16] أيير: مدينة في منطقة مرتفعات أيير بشمال النيجر على طرق قوافل التجارة الصحراوية

[17] أغاديس: من نيجر تقع في الصحراء الكبرى ويمر بها قوافل الهجرة غير الشرعية نحو ليبيا والجزائر.

[18] زندر: مدينة من النيجر تقع في الجنوب على حدود نيجريا.

[19] كانو: من أكبر مدن نيجريا الشمالية تقع على الحدود النيجر وتشاد.

[20] عين صالح–ولاية جزائرية– واحة ومن واحات جنوب الجزائر ومعبرا للقوافل التجارة إلى جنوب الصحراء الكبرى ويمر بها قوافل غدامس تمبكتو (راجع: أبوبكر سالم المهدي الشيباني: *مدينة مرزق ودورها في تجارة العبور الصحراوية خلال القرن التاسع عشر*، ص: 135 مجلة جامعة سبها للعلوم الإنسانية، العدد 20، 2021م)

* **فَزَّانُ**: بفتح أوله، وتشديد ثانيه، وآخره نون: ولاية واسعة بين الفيّوم وطرابلس الغرب–ليبيا–قيل سمّيت بفزّان بن حام بن نوح، عليه السّلام، بها نخل كثير وتمر كثير، ومدينتها زويلة السّودان، والغالب على ألوان أهلها السّواد. معجم البلدان (4ج/ ص 260).

[21] محمد علي مسعود. *من مصادر اقتصاد طرابلس الغرب خلال القرن التاسع عشر* (تجارة القوافل الصحراوية أنموذجا). *مجلة مداد المنارة، العدد الأول، جامعة المرقب–ليبيا*، ديسمبر (2023) ص: 156

للمدية، والقمح بثلاثمائة وخمسين للمدية، والملح بسبعة ريالات إلى ستة ونصف...[22]" هذه تبين مدى حرص التجار على معرفة أسعار السلع والمواد التجارية في تمبكتو.

وأيضا: "إن سألت عن أسعار **سنسند***، فالملح بذهب ثلاثة مثاقيل، وبالودع* عشرة آلاف، وصرف ألفين وسبعمائة، والزرع أربع مائة لقشاشة... والعسل غال، والبُلَنْكَ* غال، والكهمن* معدوم والبصوص* غال...[23]".

تدل هذه الرسالة على تجاوز تجار غدامس إلى مناطق أخرى في جنوب الصحراء مثل **سنسند** التي توجد اليوم في الإقليم الإداري الرابع لجمهورية مالي.

كانت قيادة القوافل التجارية تنظم من قبل تجار مواطنين، يتفقون فيما بينهم على تسييرها، وتوكل قيادتها إلى شخص متمرس بأصول التجارة وعبور الصحراء. [24].

تأثرت التجارة الصحراوية بظروف وأوضاع السياسة للمناطق، يمكن تمييز مرحلتين في العهد العثماني [25]:

الأولى: مرحلة ازدهار كامل وصاعد بدأ قبيل وصول الأتراك إلى ليبيا.

الثانية: مرحلة التراجع التي بدأت في أواخر العهد العثماني.

ففي **المرحلة الأولى** هناك ما يؤكد على أن الحركة التجارية الصحراوية كانت مزدهرة نشطة للأسباب التالية [26]:

---

[22] عبد الرحمن عبد الله سيسي ومحمد القاضي سلميان ميغا. *التكامل اللغوي بين العربية ولغة سغي لتحقيق التواصل بين مالي وليبيا*. مخطوط تحت رقم: 12373 في *معهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية، عنوان الرسالة: رسالة إلى سيد محمد بن طالب الغدامسي في التجارة وأسعار السوق، مجلة سنكوري*، تمبكتو، العدد 11، (2019) ص:14.

- المدية: مكيال قديم، استعمل المدية تصعيرا له وفق التعبير المحلي في لغة سنغي.
- الصاب: الدخن الغليظ، نوع من الدخن، يزرع في المستنقعات.

[23] عبد الرحمن عبد الله سيسي ومحمد القاضي سلميان ميغا. *التكامل اللغوي بين العربية ولغة سغي لتحقيق التواصل بين مالي وليبيا*. مخطوط تحت رقم: 5451 في *معهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية، عنوان الرسالة: رسالة إلى عيسى الغدامسي في خبر أسعار السلع في الأسواق والأخبار، مجلة سنكوري*، تمبكتو، العدد 11، (2019)، ص: 23-24.

- سنسند: مدينة بإقليم سيقو الإدارية، على حوالي 55 كلم.
- الوَدْعُ والوَدَعُ والوَدَعاتُ: مناقِيفُ صِغارٌ تُخْرَجُ مِنَ الْبَحْرِ تُزَيَّنُ بِهَا العَثاكِيلُ، وَهِيَ حَرَزٌ بيضٌ جُوفٌ فِي بُطُونِهَا شَقٌّ كَشَقِّ النواةِ تَتَفَاوَتُ فِي الصِّغَرِ وَالْكِبَرِ، لسان العرب (ج8/ ص: 380).
- البلنك: كلمة بلغة سغي، وبالفرنسية Beurre de karite، وفي البنبارية Chi Tolou، زبدة الشيا-تستخدم على نطاق واسع في مجال التجميل كمرطب أو كريم أو غسول سواء للشعر أو للجسم – تستخدم في بعض المراهم الطبية للعلاج الشعبي.
- الكهمن: Ko-Hamni ثمرة يختلط دقيقها بدقيق الدخن لإعداد السويق مشروب Ko-Donn.
- البصوص: أي Bossa ثمرة تسمى عرديب في السودان.

[24] تيسير بن موسى. *المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني دراسة تاريخية اجتماعية*. دار العربية للكتاب (1988) ص: 164.

[25] ومن عام 1551-1911م أصحبت شمال أفريقيا –من طرابلس حتى وهران وتلمسان-تابعة للدولة العثمانية (راجع: د/ ناهد إبراهيم دسوقي. دراسات في تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، ص:7-18)

[26] تيسير بن موسى. *المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني*. مرجع سابق، ص: 158-159.

1- تفجر الثورة الصناعية في أوربا التي اعتمدت على المواد الخام الواردة من أفريقيا ومنها ليبيا، كمادة نبات الحلفا لصنع الورق وجلود السودان للصناعات الجلدية المختلفة، والعقاقير النباتية...

2- اتساع طبقة الأغنياء في أوروبا، وتفشي حياة اللهو والبحث عن المتع والكماليات...، فتزايد الطلب على ريش النعام وجلود النمور والفهود...

3- تطور الأسلحة عند السلطات مما هيأ للقوافل حماية وأمن أكثر أثناء عبورها الفيافي والقفار الخالية من المدن والناس.

4- تشجيع السلطات التركية الحاكمة وشيوخ القبائل الذين يسيطرون على الطرق التجارية الصحراوية، بسبب العائدات الضخمة لهم.

والمرحلة الثانية هي مرحلة التوقف النهائي:

1- توقف أوربا والعالم عن استيراد سلع هامة كانت تشكل العمود الفقري للتجارة عبر الصحراء مثل ريش النعام، العبيد، الحلفا...

2- نجاح الأوربيين في الوصول إلى القارة الأفريقية مباشرة، واحتلالهم لأجزاء واسعة منها، مما أدى إلى الاستغناء نهائيا عن تجارة القوافل الغالية التكاليف والبطيئة الحركة.

وهذه التجارة الصحراوية التي استفادت منها شمال وجنوب القارة بعائداتها في التصدير والاستيراد والعاملين فيها من الوكلاء والنقال ومناطق العبور...، استمر الاستفادة من الأرباح زمنا حتى قضى عليها الاحتلال والسيطرة الاستعمارية الأوربية. ولا يزال سكان المناطق الصحراوية يستفيدون من هذه المسالك في الهجرة غير الشرعية إلى دول شمال أفريقيا وأوروبا.

من خلال الخريطة رقم 3: يلاحظ عدة مسالك للتجارة الصحراوية منها:

1- الطريق من القاهرة إلى أسيوط والخارجة ثم الفاشر إلى وداي.

2- الطريق من بنغازي إلى الكفرة أبشه إلى وادادي.

3- الطريق من زلة إلى واد الكبير ثم بحيرة تشاد إلى كانو

4- الطريق من طرابلس، سوكنة، مرزوق، القطرون إلى بحيرة تشاد ثم كانو

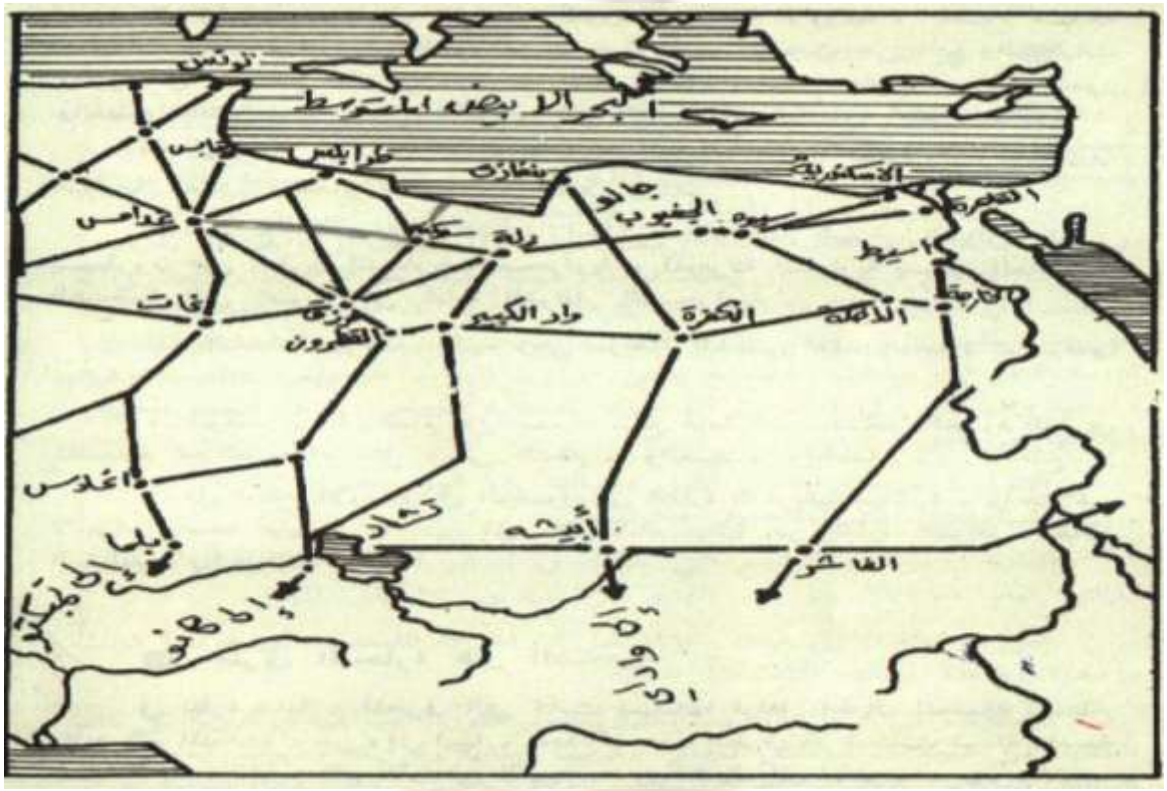
5- الطريق من طرابلس إلى غدامس، غات، أغاديس، بلما، إلى تمبكتو

6- الطريق من تونس، قابس، طرابلس غدامس، غات، أغاديس، بلما، إلى تمبكتو

بالإضافة إلى الطريق المتجه من القاهرة مرورا بسيوه وزلة وسوكنة وغدامس ثم أقصى بلاد المغرب حيث شواطئ المحيط الأطلنطي وإلى منصب نهر السنغال.

والعامل المساعد في تكوين هذه الشبكة التجارية هي: طبيعة النقل والتحرك بوسائط تعتمد على الجمال وتوفير محطات التموين والراحة، وتوفر المياه العذبة وطبيعة التضاريس، وتناسب منازل وأوطان أفراد القافلة الذين يحترفون نقل البضائع على إبلهم، مما جعل وصف الطرق بالتعرج والانحناء تارة إلى الشمال وأخرى للجنوب أو الغرب أو الشرق [27].

خريطة 3: توضع مسالك قوافل التجارة الصحراوية الليبية



[27] تيسير بن موسى. *المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني*. المرجع نفسه، ص: 159-161.

مصدر الخريطة: المجتمع العربي الليبي في عهد العثماني، الصفحة: [28].

بإمعان النظر على الخريطة رقم4: يتضح لنا مسالك القوافل التالية:

1- الطريق من تونس مرورا بالقيروان وغدامس وتامكة (السوق) وغاو (كوكا أو كاغو) وتمبكتو.

2- الطريق من تونس مرورا بتلمسان وفأس ومراكش وتامدولت ووادان وأودغست وكومبي صالح.

3- الطريق من تونس مرورا بالقيروان وورقلة وتامنطيت وتوات وتاغزة وأراوان وتمبكتو؛ يلتقي هذه الطريقة الطريق فأس سجلماس وتاغزة وأراوان تمبكتو.

4- الطريق تلمسان وفأس تلتقيان في سجلماسة مرورا بتاغزة وولاتة كومبي صالح.

وتصل هذه الطرق إلى بوري وبامبوك اللتين عرفتا بالذهب في السودان الغربي. وقوافل الملح من تاغزاة إلى تمبكتو عبر هذه المسالك حتى اليوم وإن اختلفت الوسائل أحيانا والظروف من حين لأخر.

وكان ضمن القوافل التجارية علماء وفقهاء قاموا بنشر الإسلام عن طريق التجارة والرحلة. "وكما سلك الإسلام مع التجار إلى السودان الأوسط وبحيرة تشاد عدة طرق أهمها الطريق من المهدية وطرابلس إلى مرزوق فكوكا، والطريق من طبرق إلى واداي مخترقا أوجيلة والكفرة، والطريق من القاهرة إلى دار فور فكوكا" [29].

المبحث الثالث: السلع المتبادلة بين شمال وجنوب الصحراء.

خريطة رقم 4: توضح مسالك القوافل الصحراوية



مصدر الخريطة: www.worldhistory.org [ ]

ارتكزت هذه التجارة الصحراوية على بعض السلع الأساسية في الجانبين: الشمالي والجنوبي، بعضها من المنطقة أصلا وبعضها مستوردة من أوروبا.

أولا السلع القادمة من شمال أفريقيا:

كانت البضائع تأتي من أسيا وأوروبا على شواطئ البحر الأحمر والمتوسط، ويحملها تجار شمال أفريقيا نحو جنوب الصحراء، وفي القرن الثامن عشر بنيت هذه التجارة على تبادل في سلع الزينة والرفاهية: وصدر التجار الأوروبيين الملابس، الأسلحة، الزجاج، المسابح إلى الأسر الحاكمة من ممالك بلاد السودان والصحراء الذين كانت لديهم الثروة لشراء

[28] تيسير بن موسى. *المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني*. نفس المرجع، ص: 160.

[29] أحمد شلبي. *موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية*. الجزء السادس، *مكتبة النهضة المصرية*، القاهرة، الطبعة الرابعة، (1983) ص: 194.

سلع الترف [30]. ويضاف إلى هذه السلع بعض المواد الكمالية من أوروبا كملابس القطن الانكليزي، الزجاج، الورق، الشاي، والسكر [31].

كان من البضائع المصدرة إلى جنوب الصحراء الجياد التي تأتي من بلاد البربر وتصل مع القافلة ثم تعرض بعد عشرة أيام أو اثني عشر يوما على الملك ليأخذ منها العدد الذي يريده ويدفع ثمنا مناسبا. وتباع أيضا مخطوطات كثيرة تأتي من بلاد البربر، وتدر أرباحا تفوق سائر البضائع [32]. ويبدو أن سوق المخطوطات كان لها مكانة عظيمة وخاصة لدى العلماء والفقهاء وطلبة العلم، وتتميز تمبكتو اليوم بمكتباتها الكثيرة مثل: مكتبة معهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية، مكتبة مما حيدرا والونكري...

وتداول في التجارة الصحراوية قطع الذهب الخالص بدلا من العملة المسكوكة، والودع لشراء الأشياء التافهة، وهو صدف مستورد من بلاد فارس، تساوي أربعمائة منه مثقالا واحدا، وتساوي الأوقية الرومانية من الذهب عندهم ستة مثاقيل وثلثي مثقال [33].

وذكر الحسن الوزان نوع البضائع الواردة من شمال الصحراء إلى غاو (كاغو) وبلغ قيمة الحصان الواحد مقابل عبد: "الحصان الذي يساوي عشرة مثاقيل بأوروبا يباع هناك بأربعين إلى خمسين مثقالا، وأبسط قماش أوروبا يباع بأربعة مثاقيل للكنة* والقماش الرفيع مثل "المنتشينو" و"المينمو" يباع بخمسة عشر مثقالا، أما القماش البندقي الرفيع كالقرمزي والبنفسجي والأزرق فيصل إلى ثلاثين مثقالا، وأقبح سيف أوروبي لا يزيد ثمنه على ثلث مثقال، يساوي هناك أربعة مثاقيل أو ثلاثة على الأقل، وكذلك المهاميز والأعنة، وجميع أدوات الخياطة والعطارة باهظة الأثمنة، تساوي "دسيمة*" الملح مثقالا محليا" [34]. يزيد أرباح التجار في السلع ما قد يصل إلى ضعف أو ثلاثة أو أربعة أمثال قيمة الشراء أو ما لا حد له في جنوب الصحراء، لذا رغم مخاطر السفر ووعورة الطرق وقلة الماء في المسالك، لم يتوقف التجار عنها؛ ومن صادرات تجار: الجلود والتمر.

ثانيا السلع الموجودة بجنوب الصحراء:

كانت حركة التجارة الصحراوية نشطة عبر العصور على اختلاف الحكام فقدم بعضهم تسهيلات للقوافل فأمنوا الطرق التجارية الصحراوية. وكان من السلع الإفريقية: الملابس، العاج، ريش النعام، الذهب، الجلود، الأسلحة

---

[30] علي عبد اللطيف حميدة. *المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا دراسة في الأصول الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لحركات وسياسات التواطؤ ومقاومة الاستعمار 1830-1932*. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، (1998) ص: 58-59.

[31] علي عبد اللطيف حميدة. *المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا دراسة*... نفس المرجع، ص: 60.

[32] الحسن بن محمد الوزان الفاسي.. *وصف إفريقيا*. ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، *دار الغرب الإسلامي–بيروت*، الطبعة الثانية (1983) ص: 166 -167.

[33] الحسن بن محمد الوزان الفاسي. *وصف إفريقيا*. مرجع سابق، ص: 167.

[34] الحسن بن محمد الوزان الفاسي. وصف إفريقيا. نفس المرجع، ص: 170.

* الكنة: مقياس إيطالي قدره نحو ميترين * الدسمية: مكيال إيطالي قدره عشر أرطال.

والرقيق. وازدهرت تجارة القوافل عبر غرب ليبيا في الفترة ما بين 1850 – 1880 ربما لنجاح الدولة العثمانية في تأييد سلطتها وتنظيم التجارة عبر فزان. وعلى سبيل المثال، كانت صادرات العاج من غرب أفريقيا إلى أوروبا بقيمة 4000 جنيه إسترليني في عام 1871، ولكنها تضاءلت إلى 2000 جنيه إسترليني في عام 1904م [35].

ولم تكن التجارة في الذهب والرقيق فحسب، بل في سلع أخرى تصدرت صادرات بلاد السودان تمثلت في: الشمع، الجلود، ريش النعام، الأسلحة [36].

رصد إحصائيات صادرات طرابلس الغرب من السلع السودانية الرئيسية القادمة عبر غدامس وفزان، ما بين عامي 1862-1901م 72,500,000 من ريش النعام، ومن الجلود 15,750,000، ومن العاج 22,000,000. [37]

يقدر الحسن الوزان ثمن العبد في سوق غاو حيث يقول: "وهناك ساحة يباع فيها أيام السوق عدد لا يحصى من الرقيق ذكورا وإناثا، تساوي الفتاة بنت خمس عشرة سنة نحو ستة مثاقيل، وكذلك الفتى تقريبا، ولا يساوي الأطفال الصغار إلا نصف هذا الثمن بالقريب، وكذلك العبيد المسنون" [38]. وكان الفتاة الأمة أغلى ثمنا من الأطفال الصغار والمسنين على مشاهدة الوزان في السوق المذكورة؛ مهما يكن من الأمر حتى وإن بالغ الأوروبيون من الاحصائيات في عدد العبيد في سوق غدامس وطرابلس... إلا أن الواقع يبقى هو إثبات تجارة الرقيق أثناء التجارة الصحراوية.

والملح من أهم سلع التجارة الصحراوية حيث كان الملح يبدل بالذهب [39]. هذا ما يدل على رفع قيمة الملح لدى سكان جنوب الصحراء، باعتباره مادة أساسية في تركيب المرق وطعمه على اللسان، كما له دور كبير في ترتيبات خطبة النساء، ومن الأشياء التي تقدم لأسرة المرأة في إعلان الخطبة في بعض مناطق الصحراء.

واستفادت تمبكتو من موقعها الجغرافي حيث كانت البضائع تأتيها من الصحراء ومن النهر؛ ومن بضائع النهر: "الأرز والذرة والذهب والعاج والرقيق ولوز الكولا" [40]. ولا زالت تمبكتو تستفيد من عائدات هذه المسالك البرية والنهرية من العصور الوسطى حتى الآن وإن اختلفت وتطورت وسائل النقل، حيث نابت عن الجمال سيارات

---

[35] علي عبد اللطيف حميدة. *المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا دراسة*... مرجع سابق، ص: 61.

[36] علي عبد اللطيف حميدة. *المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا دراسة*... نفس المرجع، ص: 60.

[37] فتح رجب قدارة. *انحيار تجارة القوافل الصحراوية عبر الأراضي الليبية في أوائل القرن العشرين من خلال وثيقة غدامسية*. جامعة الزاوية، *مجلة كلية الآداب، العدد الثامن عشر*، (2014) ص: 193. https://dspace.zu.edu.ly

[38] الحسن بن محمد الوزان الفاسي. *وصف إفريقيا*. مرجع سابق ص: 169.

[39] أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري. *المسالك والممالك*. تحقيق: جمال طلبة، دار الكتب العلمية–بيروت، الطبعة الأولى، الجزء الثاني، (2003م –1424هـ) ص: 362.

[40] بوفيل، روبن هاليت. *تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير*. ترجمة: الهادي أبو لقمة، محمد عزيز، منشورات جامعة قاريونس–بنغازي، (1988م)، ص: 389.

رباعية الدفع والشاحنات، وعلى النهر تغيرت وازدادت حمولة السفن وسرعتها بسبب الاستعانة بالمحركات الميكانيكية البخارية. تأتي السفن محملة بسلع الجنوب لتنقل إلى الشمال، ومنتجات شمال الصحراء إلى تمبكتو وتنقل بعضها الى الجنوب عبر السفن البخارية والشاحنات.

المبحث الرابع: الأثر الثقافي والاجتماعي على تمبكتو وغدامس.

تمتع كل من تمبكتو وغدامس من الأثر الثقافي للتجارة الصحراوية لكونهما مركزين تجاريين وثقافيين في آن واحد، وكان بعض التجار علماء وفقهاء بالإضافة إلى امتيازات احترام ودعم الملوك والسلاطين للعلماء والثقافة هذا ما مكنهم من نشر الثقافة، وهي الحركة التي أثرت على التركيب السكاني والاجتماعي للمنطقة طول هذه الفترة الذهبية للنشاط التجاري عبر الصحراء.

من مظاهر الثقافة في تمبكتو كثرة العلماء فيها حيث يقول السعدي عن تمبكتو: مأوى العلماء والعابدين والصالحين... وسكن فيه الأخيار من العلماء والصالحين... ومن كل بلاد من أهل مصر ووجل وفزان وغدامس... [41].

والجدير بالذكر، أن عناية الملوك بالثقافة الإسلامية عززت مكانة تمبكتو الثقافية، ومنذ مرور منسا موسى بها الذي كان في رفقته العلماء والفقهاء عند عودته من الحج؛ واحتفظ التاريخ بأسماء شخصيات ترجع أصولهم إلى شمال أفريقيا مثل سيدي أبي القاسم التواتي وفياض الغدامسي الذي توفي في تمبكتو ودفن فيها [42].

مكتبات المخطوطات في تمبكتو تعكس عمق ورقي الحياة العلمية، وهذه المكتبات منها: عامة وخاصة، فالمكتبة العامة هي مكتبة معهد أحمد بابا للدراسات والبحوث الإسلامية التي تحتوي على آلاف المخطوطات، ومن ناحية أخرى مكتبات خاصة مثل: مكتبة مما حيدرا، مكتبة الونكري ومكتبة أبو العباس ومكتبة الإمام السيوطي، وتجد هذه المكتبات الخاصة على الدعم الفني والتقني من جمعية لحماية وتقويم المخطوطات للدفاع عن التراث الإسلامي. وبعض المنظمات الدولية مثل اليونسكو... التي قامت بدور مهم جدا في صيانة المخطوطات وفهرستها وترميمها، كما يعود الفضل إلى اليونسكو تأسيس مركز/معهد أحمد نتيجة التوصيات التي قدمتها في اجتماعها بمدينة تمبكتو سنة 1967م.

ومن أعظم مظاهر الحضارة والثقافة الإسلامية مساجد تمبكتو العتيقة؛ المسجد الكبير (جنغريبر) ومسجد سيدي يحيى ومسجد سانكوري. "أما المسجد الجامع الكبير فالسلطان الحاج موسى صاحب ملّي (مالي) هو الذي بناها وصومعتها على خمسة صفوف؛ وأما مسجد سانكوري فقد بناها امرأة واحدة اغلالية ذات مال كثيرة في أفعال البر وما رويناه في الخبر ولكن لم نجد لبنائها تاريخا؛ محمد نض الذي بني المسجد المعروف سيدي يحيى[43] وأشرف على

---

[41] عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي. *تاريخ السودان*. مرجع سابق، ص: 21.

[42] عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي. *تاريخ السودان*. نفس المرجع، ص: 59.

[43] عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي. *تاريخ السودان*. مرجع سابق، ص:57، 62، 23.

توسعة الجامع الكبير أبو أسحاق الساحلي [44] بأمر من منسا موسى أثناء عودته من الحج عام 1325م. ومسجد سانكوري الذي مولت بناءه سيدة ثرية محسنة في عهد الماندينغ (1325 – 1433م) ومسجد سيد يحي الذي تم بناءه عام 1400م من قبل الصالح الشيخ المختار حماه الله [45]. هذا ما يدل على أن بناءه كان في العهد الماندينغ.

وكان مسجد سانكوري قبلة العلماء وطلبة العلم من كل الجهات طلبا للعلم، وكان من بين هؤلاء علماء الذين كانوا يمارسون نشاطهم التجاري العلمي في المدينة، وهذا الاحتكاك العلمي التجاري أدي إلى تحديث النسيج الاجتماعي بين القادمين إلى تمبكتو والسكان الأصليين.

والزواج من أهم ما يتأثر به المجتمع من المصاهرة يصف الحسن الوزان حالة سكان تمبكتو بالغنى الترف وقبول الزواج بالأجانب؛ "والسكان أغنياء مترفون، لا سيما الأجانب المقيمين في البلاد حتى إن الملك الحالي زوج اثنيتن من بناته من أخوين تاجرين لغناهما"[46].

من الأثر الاجتماعي أيضا وجود أسرة تواتية في باماكو عاصمة جمهورية مالي، ووجود ألقاب في تمبكتو توحي إلى أصل الأسرة مثل: "فاسكوي" معنى، "فأس" مدينة مغربية، و"كوي" نسبته إلى فأس والمعنى الذي يأتي من "فأس". وصول العلماء إلى تمبكتو واستقرارهم يؤدي إلى تكوين طبقات اجتماعية جديدة وحالة التأثر والتأثير بين الثقافات والعادات المختلفة، ولذا تجد في تمبكتو وغدامس أجناس وعرقيات من كل الجهات بناء على موقعها الجغرافي والتجاري والثقافي على حافة الصحراء.

وأفضل مثال للمصاهرة والتزاوج أسرة أحمد بن أبي الأعراف [47] التي أتت وسكنت تمبكتو وهو عالم وكاتب مشهور وصاحب مكتبة ثرية من المخطوطات، ومن مخطوطاته المحقق: "إزالة الريب والشك والتفريط في ذكر المؤلفين من أهل التكرور والصحراء والشنقيط".

---

[44] هو أبو إسحاق الساحلي، المعروف بالطُّوَيْجِن–بضم الطاء المهملة، وفتح الواو، وسكون الياء التحتية، وكسر الجيم، وقيل بفتحها–العالم... والشاعر المذكور، من أهل غرناطة... من أهل العلم فقيها متفننا... وارتحل عن الأندلس إلى المشرق، فحج، ثم سار إلى بلاد السودان فاستوطنها، ونال جاها مكينا من سلطانها وتوفي بتنبكتو يوم الاثنين 27 جمادي الأخيرة سنة 737هـ وقيل في 739هـ. ونال من منسى موسى 12 ألفا من مثاقيل التبر مقابل بناء قبة رائعة له: قال: ابن خلدون في هذا الشأن: "أطرفه أبو إسحاق الطويجن ببناء قبة مربعة الشكل استفرغ فيها إجادته... فجاءت من أتقن المباني، ووقعت من السلطان موقع الاستغراب لفقدان صنعة البناء بأرضهم، ووصله باثني عشر ألفا من مثاقيل التبر مثوبة عليها" (راجع: نفح الطيب لأحمد بن محمد المقري التلمساني ج2، ص: 194. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني ج1، ص: 60، تاريخ ابن خلدون ج6، ص: 268).

[45] عبد العزيز ديالو. *مساجد تمبكتو*. (الحضارة الإسلامية في مالي) منشورات إيسسكو، باماكو (1417هـ/1996م)، ص: 119–124.

[46] الحسن بن محمد الوزان الفاسي. *وصف إفريقيا*. ترجمة: مرجع سابق، ص: 166.

[47] هو أحمد بن أبي الأعراف الموسوعلي عشيرة، التكني قبيلة، الجلميمي منشأ ومولدا، ولد سنة 1864م في كليميم في المغرب وتوفي رحمه الله في تنبكت في 17 سبتمبر 1955م، ودفن في مقبر سيد الوافي الأمير الأرواني في حومة ساري كين. وقبل وصوله إلى تنبكت، تجول بلعراف في الصحراء المغربية... ثم توجه إلى شنقيط في موريتانيا للتحصيل العلمي، وبعد ذلك توجه إلى السنغال للتجارة، ومن السنغال دخل مالي عبر إقليم كاي (Kayes)،

ومكانة غدامس وتمبكتو العالمية شاهد على مكانتهما التاريخية في التجارة الصحراوية وتسجيلهما على قائمة مدن التراث العالمي لليونسكو.

تمبكتو مدينة أسطورية، ومن أسطورة غدامس، هي قدمها من زمان (النمرود بن كنعان بن سام بن نوح) وقيل فارس من قوم النمرود هو الذي أخرج ما عينها، والتشابه في البناء وفنونه واستغلال المساحات الصغيرة والبناء [48].

خاتمة:

في خاتمة البحث عن أثر التجارة الصحراوية على الحياة الثقافية والتجارية في تمبكتو وغدامس، اللتين ازدهرتا بسبب هذه التجارة وتأثر سكانهما بنتائجها الثقافية والاجتماعية وتبادل السلع والمنتجات. توصل الباحث إلى النتائج التالية:

- قِدم نشأة غدامس على تمبكتو، حيث يرجع آثار النقوش لمدينة غدامس إلى العصور الحجرية، ونشأة تمبكتو في القرن الحادي عشر الميلادي.
- خاصية سكانهما في استقبال القوافل التجارية التي كانت تأتيهما بعد عبور الصحراء ذهابا وإيابا. وتَنَقل العلماء والفقهاء إلى تمبكتو وغدامس أثناء تجارتهم واستقرارهم فيهما.
- سيطرة الغدامسيين على التجارة فيما بين البحر الأحمر والمتوسط وشمال الصحراء وجنوبها، بالإضافة إلى تفوقهم في دِباغة الجلود، وأهل تمبكتو هم أيضا مهرة في الحرف والصنائع.
- وجود حي في تمبكتو يعرف بالحي الغدامسي (وسط المدينة)، دلالة واضحة على كثرة نزولهم بها نتيجة التفاعل الاجتماعي والثقافي بينهما.
- تجاوز التجار عقبات المسالك ووعورتها من قطاع الطرق وقلة الماء وشدة الحرارة وبرودة الصحراء في سير القوافل، وحسن تعامل القوافل مع مناطق العبور ودفع ما يستحقونه من الضرائب. وكانت التجارة الصحراوية تجارة رابحة.
- تنوع السلع المتبادلة بين شمال الصحراء وجنوبها بصفة عامة وخاصة بين غدامس وتمبكتو وجني وسنسند. وغلاء ثمن الملح والخيل في مناطق جنوب الصحراء.
- وجود سوق المخطوطات في تمبكتو وهو أمر طبيعي لأي مركز ثقافي، لأن العلم والثقافة في متون المخطوطات والكتب ويزداد بكثرة الاطلاع والقراءة.

وذهب إلى مدينة نيورو (Nioro) وسكن فيها مدة سبعة أشهر أو أكثر، ثم توجه إلى العاصمة باماكو، ومكث فيها سنين يمارس التجارة بينها بين تنبكت، إلى أن انتقل إلى تنبكت واستقر فيها نهائيا (إزالة الريب والشك والتفريط في ذكر المؤلفين من أهل التكرور والصحراء والشنقيط، ص: 8-9).

[48] بشير قاسم يوشع. *مدينة غدامس عبر العصور. مرجع سابق*، ص: 50.

ونحث الباحثين في الحضارة والثقافة الإسلامية والمهتمين بالعلاقات الثنائية بين جمهورية مالي وليبيا، على دراسات أعمق في العلاقات التجارية والثقافية بين البلدين، لمعرفة الأسر التمبكتيّة المستقرة في غدامس- على غرار الأسر الغدامسية في تمبكتو- ودراسة الوثائق والرسائل التي اهمت بهذه العلاقات الثقافية والتجارية بين المدينتين عبر العصور.

المراجع:

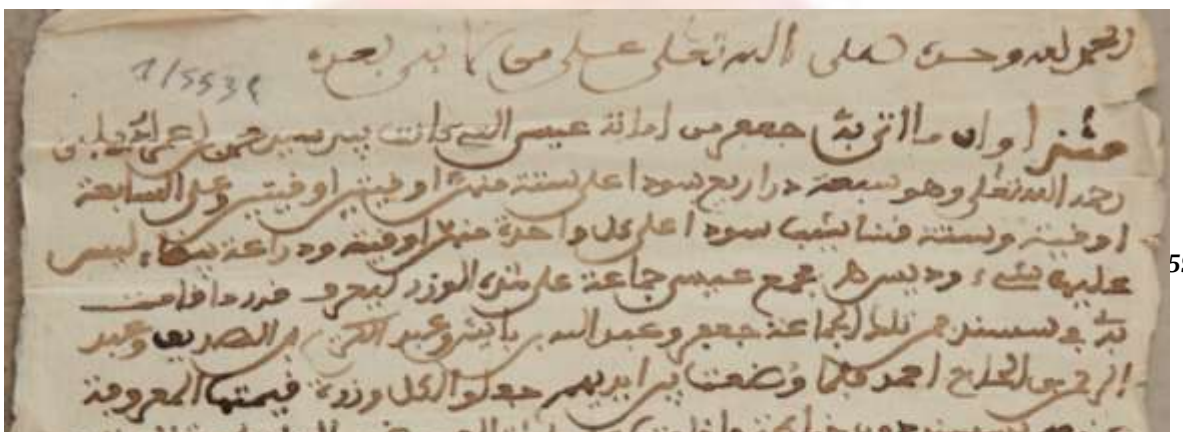
1. البكري، أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد. المسالك والممالك. تحقيق: جمال طلبة، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى، الجزء الثاني، (2003م -1424هـ).
2. أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر. تقويم البلدان. تصحيح: رينود والبارون ماك كوكين ديسلان، دار صادر-بيروت، (1840م).
3. ابن بطوطة، محمد بن عبد الله. رحلة ابن بطوطة. أكاديمية المملكة المغربية، الجزء 4، (1417هـ).
4. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري. لسان العرب. دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، (1414هـ).
5. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد أبو زيد. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، (1408هـ/ 1988).
6. بوفيل. تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير. ترجمة: الهادي أبو لقمة، محمد عزيز، منشورات جامعة قاريونس-بنغازي، (1988م).
7. ديالو، عبد العزيز. مساجد تمبكتو. (الحضارة الإسلامية في مالي) منشورات إيسسكو، باماكو (1417هـ/1996م).
8. دسوقي، د/ناهد إبراهيم. دراسات في تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (2011).
9. حميدة، علي عبد اللطيف. المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا دراسة في الأصول الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لحركات وسياسات التواطؤ ومقاومة الاستعمار 1830-1932. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، (1998م)
10. الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي. معجم البلدان. دار صادر-بيروت، (1995م)، ج4.
11. يوشع، بشير قاسم. مدينة غدامس عبر العصور. المركز الوطني للمخطوطات والدراسات التاريخية -طرابلس، (2011).
12. مؤنس، حسين. الإسلام الفاتح. (دعوة الحق سلسلة شهرية) مطبوعات رابطة العالم الإسلامي، السنة الأولى (1401هـ) العدد 4.
13. موسى، تيسير. المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني دراسة تاريخية اجتماعية. دار العربية للكتاب (1988م)
14. المنجم، إسحاق بن الحسين. آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان. عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى، (1408هـ)
15. مسعود، محمد علي. من مصادر اقتصاد طرابلس الغرب خلال القرن التاسع عشر (تجارة القوافل الصحراوية أنموذجا). مجلة مداد المنارة، العدد الأول، جامعة المرقب-ليبيا، ديسمبر (2023م).
16. السلاوي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري. الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. المحقق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب -الدار البيضاء، (1954م) الجزء الأول.

17. السعدي، عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر. تاريخ السودان. تحقيق: هوداس وبنوه، المدرسة الباريزية لتدريس الألسنة الشرقية –باريس، (1981م).
18. سيسي، أ.د. عبد الرحمن عبد الله وميغا، محمد القاضي سلميان، التكامل اللغوي بين العربية ولغة سغي لتحقيق التواصل بين مالي وليبيا. مجلة سنكوري، معهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية، العدد 11، (2019م)
19. الفاسي، الحسن بن محمد الوزان. وصف أفريقيا. ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، الجزء الثاني، دار الغرب الإسلامي – بيروت، (1983م)
20. العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. تحقيق: مراقبة/ محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر اباد، الهند، الطبعة الثانية، (1392هـ/ 1972م).
21. قدارة، فتح رجب. انهيار تجارة القوافل الصحراوية عبر الأراضي الليبية في أوائل القرن العشرين من خلال وثيقة غدامسية. جامعة الزاوية، مجلة كلية الآداب، العدد الثامن عشر، (2014م). https://dspace.zu.edu.ly
22. كعت، محمود كعت بن المختار. تاريخ الفتاش. منشورات معهد أحمد باب للدراسات العليا والبحوث الإسلامية، تحقيق: عبد الرؤوف أحمد ميغا وآخرون (1435هـ/2014م).
23. التلمساني، أحمد بن محمد المقري. نفح الطيب من غضن الأندلس الرطيب. تحقيق: د/ رحان عباس، دار صادر، بيروت، (1408هـ/ 1988م).
24. الشيباني، أبوبكر سالم المهدي. مدينة مرزق ودورها في تجارة العبور الصحراوية خلال القرن التاسع عشر. مجلة جامعة سبها للعلوم الإنسانية، المجلد 20، العدد 3، (2021).
25. شلبي، أحمد. موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية. الجزء السادس، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الرابعة، (1983م).
26. التكني، أحمد بن أبي الأعراف الموسوعلي الجلميمي. إزالة الريب والشك والتفريط في ذكر المؤلفين من أهل التكرور والصحراء والشنقيط. تحقيق: دريسا تراوري وآخرون، معهد أحمد بابا للدراسات البحوث الإسلامية، (2019).
27. Atlas cartographique des infrastructures Sanitaires de la république du Mali, Ministère de l'Urbanisme, de l'Habitat des Domaines, de l'Aménagement du Territoire et de la Population, Direction Nationale de l'Aménagement du Territoire (DNAT), Bamako, 2025, P : 7.
28. DELAFOSSE, Maurice, Haut-Sénégal- Niger (Soudan Français). Emile LAROSE, (1912).
29. ***www.worldhistory.org*** , publie le 11 décembre 2022
30. **www.mawdoo3.com**. mai 2017

صورتان من مخطوطات الرسائل المتبادلة بين التجار الغدامسيين بمعهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية–تمبكتو جمهورية مالي

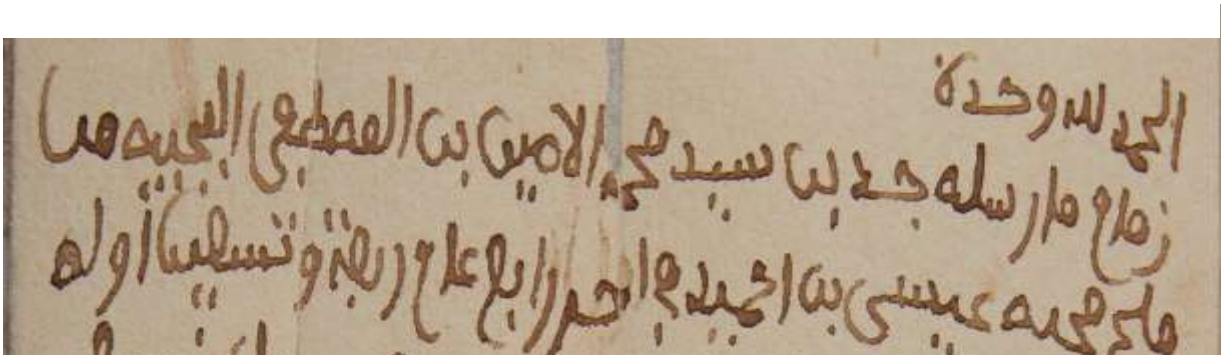
هذا المخطوط في إحصاء أمانة عيسى بن أحميد التي كانت بيد محمد بن أعمر ايد يلبي سنسندي

رقم المخطوط: IHERI-ABT_005534



هذا المخطوط في إحصاء ما أرسل جد بن محمد الأمين المصطفى البجبيه من الملح لعيسى بن أحميد

رقم المخطوط: IHERI-ABT_005536



Boubacar et Mohamed